العرب في ضوء المصادر المسمارية

رضا جـواد الهاشمي
استاذ مساعد ـ قسم الآثار
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من الملاحظ على الدراسات والبحوث ـ العربية منها بشـكل خاص ـ التي تناولت تاريخ العرب القديم ، أنها لا تتعدى اشارات سريعة وغير كاملة عن العرب في ضوء المصادر المسمارية •

ويقتصر معظم هذه الدراسات ـ ان لم يكن جميعها ، على الاشارة الى ورود كلمة « عرب » في النصوص الأشورية • وفي الوقت الذي يتم التركيز على قدم هذه الأشارة من الناحية الزمنية ، يهمل الألتفات الى كثير من المعلومات التفصيلية والجانبية التي وردت بمعية العرب في تـلك النصوص ، نخص منها بالذكر اسماء المدن والقبائل والآلهة ، وبعض المناطق الجغرافية وخصائصها الطبيعية والحياتية كما ترسمها لنا تلك النصوص •

وفي اعتقادي ان النظرة الوحيدة الجانب الى الموضـوع ، وهـي النظرة الى التسمية وبعدها التاريخي ، لا يمكنها ان تصل الى تحديد الجوانب المختلفة لحياة هؤلاء القوم ، ومثل ذلك بعض الاستنتاجات التي ذكرها بعض الباحثين ، والتي نعتقد أنها غير متطابقة تماما مع واقع العرب في عصورهم القديمة •

لقد قرن معظم هؤلاء الباحثين بين واقع العرب القديم وبين مفهوم

كلمة « أعراب » الواردة في القرآن الكريم ، والتي يرادف معناها البدو والبداوه دون ان يكون لها أدنى اشارة الى قوم متميزين من اقـــوام الشرق الانى القديم .[1]

وقبل ان نصل بالقارىء الى الصورة المتكاملة التي ترسـمها النصوص المسمارية نبدأ اولا باستعراض تلك النصـوص ودلالاتهـا والأحداث السياسية والعسكرية المرافقة لها .

ان جميع الكتابات المسمارية التي تورد ذكر العرب جائتنـا مـن العهد الاشوري في حدود القرن التاسع قبل الميلاد ، وان اول وأقــدم أشارة اليهم ترجع الى زمن الملك الاشوري شيلمنصر الثالث (٨٥٨ — ٨٢٤ ق.م) حيث يذكر في كتابة تذكارية تسجل انتصاراته العسكرية ، أنه في سنة حكمه السادسة وبعد انتصاره على حلب وحماه ، توجه الى القرقار ، حيث كانت قوات ملك دمشق وحماه وأرواد ومدن سوريـة أخرى متجمعة في هذا المكان ، وكان من بين القوى المتحالفة مع مـلك دمشق ضد الاشوريين « ١٠٠٠ راكب جمل من العرب بزعامة جندبو » وبلغ مجموع ملوك الحلف العسكري (١٢) ملكا[2] .

ونرى في العودة قليلا الى الوراء ، الى أيام الملوك الذين حكمـوا الدولة الاشورية قبل شيلمنصر الثالث ، واستعراض نشاطهم السياسي والعسكري ، من شأنه القاء الضوء على أثر هؤلاء القوم الجـــدد في احداث التاريخ السياسي والعسكري للشرق الأدنى القديم ، ونقصـد بهم العرب .

من المعروف في أحداث التاريخ الأشوري ، ان هذه الدولة تعرضت في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد لظروف عسكرية في غاية الدقةوالتعقيد

وتمثل ذلك في هجمات القبائل والممالك الارامية على حدود الاشوريين الغربية . واستغرق سعي الأشوريين لاجتثاث هذه القوى عن طريق تقدمهم الى داخلية البلاد السورية وسواحل البحر الابيض المتوسط مدة تقرب من قرن واحد من الزمان ما بين (١٠٠٠ ــ ٩٠٠ ق٠م)[٣] .

ولم تكن حروب الأشوريين هذه جميعا ضد ممالك مدن في سوريا ، بل ان بعضها شمل مساحات من بادية الشام كما ورد ذلك صراحة في نص تجلات بلاسر الاول (١١١٤ ــ ١٠٧٦ ق٠م) الذي يذكر فيه حروبه المتواصلة ضد الاراميين والأخلامو حتى بلغ مجموعها (٢٨) معركة ، وانه هزمهم من « تدمر » التي تقع في بلاد امورو[٤] ، وأمورو هي بلاد سوريا مدنا وبادية في نظر الأشوريين والعراقيين القدماء قاطبة .

والملاحظ على حملات الملكين الآشوريين تجلات بلاسر واشور ناصر پال الثاني (٨٨٣ ــ ٨٥٩ ق٠م) انها كانت موجهة صوب الهلال الخصيب ... من حدود بلاد الأشوريين على الفرات ومع امتداد ... نحو الشمال الى كركميش (جرابلس الحاليه) ، ثم منها غربا الى جبال الأمانوس (جبال لبنان) والى سواحل بحر امورو العظيم (أي البحر الغربي العظيم ــ البحر الأبيض المتوسط) وأن معظم أسماء المدن التي ذكرتها نصوص هذين الملكين نجدها متناثرة في المناطق الخصبة في سوريا شمال البادية والى سواحل البحر الابيض ، الا فيما ندر كذكر تدمر التي أشرنا اليها قبل قليل[٥] .

ويغلب على الثروات التي غنمها الأشوريين من معاركهم في هذه المناطق ، الفضة والذهب والعاج والمواد المصنعة ، والملاحظة الرئيسية

على هذه النصوص بقدر ما يتعلق الموضوع بنطاق بحثنا ، انها لا تورد ذكر العرب من بين الاقوام التي أصطدمت بقوة الأشوريين ، بينما يرد ذكر الأراميين على نطاق واسع والذين كانوا متمركزين في تدمر أيضا .

وعليه تكون حملات الملكين الآنفي الذكر مركزة صوب الاقسام الشمالية والوسطى من بلاد سوريا ، نظرا لكونهما تمثلان مراكز الضغط السياسية والثروات ومناطق عبور التجارة ، وهي النواحي التي تهم أشور . كما وتوجد في أقسام منها ، وبخاصة الشمالية ، بقايا مستعمرات حثية وحكام موالين لهم ، وذلك ما يذكره أشور بانيبال الثاني صراحة في حملته على كركميش[٦] .

والملاحظة الأخيرة على هذه النصوص ، والتي نعول عليها كثيرا أعمق دلالتها هي أنها لم تذكر من بين المغانم التي أحرزها الملوك الآشوريين او من بين الهدايا والاتاوات السنوية التي جلبت اليهم « الجمل » بينما يرتبط ذكر الجمل أوثق ارتباط بذكر العرب في النصوص الأشورية اللاحقة .

وبعد ان أستقرت الأوضاع السياسية في وسط وشمال سوريا لصالح الأشوريين ودانت لهم معظم ممالكها ، أصبح الطريق أمامهم ممهداً للتوغل في البلاد السورية والتجوال على سواحلها والذهاب الى أعماق البادية الشامية قدر ما يستطيعون ، يدفعهم في ذلك الحصول على مزيد من المغانم ، والسيطرة على طرق التجارة ومنع سكانها من التحرك السياسي والعسكري ، فكان أصطدام الآشوريين باقوام جدد ليسوا من الأموريين أو الأراميين او الاخلاميين ، وكلهم أقوام نصفها متحضر

يسكن مدن الواحات في البادية ونصفها الآخر يراوح بين أنصاف البداوة والتحضر ويسكن أطراف المدن في البوادي فكان أصطدام الاشوريين هذه المرة « بالعرب » فكانت الاشارة اليهم لأول مرة في نص حرب القرقار ، فماذا يحمل من معاني نص القرقار هذا ؟

من الواضح أن العرب المذكورين في نص القرقار لا يمكن اعتبارهم بدوا بكل معنى البداوة وذلك للأسباب التالية :ـ

١ ـ أنهم بلغوا شوطا في التنظيم السياسي بدليل زعامة جندبو عليهم ، وأنهم باعداد كبيرة بحيث استطاع جندبو التحرك مع ألف جمال محارب .

٢ ـ أنهم يسكنون أطراف البادية الشمالية لجزيرة العرب ، وفي مكان ما جنوب شرق دمشق(٧) . لذلك ربطتهم علاقات مختلفة الشكل والحجم مع المدن السورية المتاخمة للبادية ومنها دمشق ، حيث لا يمكن تصور علاقات متطورة تصل حد التحالف العسكري بين مدن سورية وأقوام تعيش مسافات بعيدة في أعماق الصحراء .

ونضيف الى ما ذكرناه الملاحظتين التاليتين على نص القرقار :ـ

١ ـ يبرز الجمل كحيوان رئيس يرتبط بالعرب ويستخدم للحرب بالاضافة الى الخدمات الاخرى الكثيرة التي يؤديها هذا الحيوان للعرب .

٢ ـ وربما تشير مساهمة العرب العسكرية مع المدن السورية في الحرب ضد الاشوريين ، الى تلمس العرب لمصالحهم المتضررة بفعل هذه الحملات ، وبخاصة الحملات الاشورية ضد منافذ الطرق التجارية البرية ونقصد بها دمشق . واذا كان هذا الافتراض واردا ، فيعني ذلك

ان للعرب دورا في المصالح الاقتصادية لسكان ومدن سوريا وبخاصة في تجارتهم مع مناطق جزيرة العرب او خارجها ، ويعني ذلك تدفق الحياة في طرق تجارية برية كان العرب المتحكمين بها ، وذلك ما سيتأكد من نصوص الفترات اللاحقة .

ومع ذلك يبقى احتمال آخر لتفسير مشاركة العرب للسوريين في حربهم ضد الاشوريين قائما ، ويتمثل ذلك في رغبتهم الحصول على شيء من المغانم .

وأي الاحتمالين هو الاقوى ، لكن يبقى ظهور العرب كقوم متميزين لهم كيانهم السياسي والعسكري من أقوى دلالات نص القرقار .

وفي سبيل معرفة أوسع وأدق لواقع العرب ودورهم في تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم ، يجدر بنا الاستمرار مع المعلومات التي تقدمها نصوص الملوك الاشوريين بعد شيلمنصر الثالث ، وما تلقيه هذه المعلومات من أضواء على حياة العرب القدماء .

يكثر الملك الاشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤ — ٧٢٧ ق.م) من حملاته على العرب . ففي سنة حكمه الثالثة يورد هذا الملك في نصوصه ذكر ملوك دفعوا اليه الجزية السنوية التي فرضها عليهم ، ومن بين أولئك الملوك « الملكة زابيبي ملكة البلاد العربية » ويذكر انه من بين المواد التي أستلمت منها الجمال ذكورا وأناث(٨) .

ولدينا نص آخر من عهد الملك نفسه في سنة حكمه التاسعة ، وعلى الرغم من التلف الشديد الذي عليه هذا النص ، لكن أمكن تمييز

ذكر «الملكة سمسي ملكة العربية» وبعد بضعة كلمات تالفة في النص نقرأ أسم مدينة Ezasi ثم موضع تالف آخر بعده كلمة « العربيــة ، في سبأ » ، وتلف آخر بعده « وقومها في مخيمها » تلف آخر بعـده « وانها خافت من قوة جيوشي وبعثت لي بالجمال وعينت ممثلا عني عليها »[٩] •

ثم يعدد النص أسماء قبائل ومدن منها مسع[١٠] ، وتيماء وسبأ وبدانا وخاتي[١١] ، وانهم يسكنون في أقصى الغرب ، وقـد سمعوا بقوة الملك وشهرته فجلبوا اليه هداياهم ذهبا وفضة وجمالا من الذكور والاناث وأنواع الطيوب • كما يشير الملك أيضـا الى قبـائل « الايديبعلي » فيذكر أنه في حملته السابقة دخل مدينته و (١٥) مدينة لايديبعلي العربي[١٢] • وفي حولياته ، يذكر الملك تجلات بلاسر الثالث حربه ضد الملكة سمسي ملكة العربية وقتله لـ (١١٠٠) محارب و(٣٠) ألف بعير و (٢٠) ألف رأس ماشية[١٣] ، وانه غنم (٥٠٠٠) حافظة مملوءة بانواع الطيوب و (١١) اناء هي ثروة الملكة من الذهب ، وهربت هي الى بلاد بازو للنجاة بنفسها • ويصف النص أرض بازو بانها موطن الظمأ[١٤] ، فذعر سكان مخيمها من قوة جيوش الملك وجلبوا اليه الجمال ذكـورا وأناث • ثم يتحول الملك في طريق حملته الى سكان تيماء وسبأ وبدانا وخاتي والايديبا علي ويصفهم النص بانهم سكان الغرب[١٥] •

ويرد للملك نفسه من نص آخر سيطرته على مدن عديدة مجاورة للعبرانيين وهي بيت خمريا والاراضي الفسيحة [للأنباط] ، وعلى الرغم من أن موضع كلمة أنباط مخروم في النص ، لكنها مرجحة من قبـل مترجم النص ، بدليل أنه بعد ذكر بلاد الانباط يورد النص مهاجمة الملك

لغزه واحتلالها وفرار ملكها الى بلاد مصر(١٦) • أما من عهــد الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق•م) فيرد في حولياته من سنة حكمه الاولى أنه أستلم الاتاوات من سمسي ملكة البلاد العربيــة وإنعمر السبأيي وكانت تراب الذهب وخيول وجمال(١٧) •

وفي سنة حكمه السابعة ، يذكر في حولياته أيضا أنه داهم قبائل ثمود وإيباديدي ومارسيمانووخيافا ، القبائل العربية التي تعيش بعيدا في الصحراء والذين لايعرفون حكاما ولا اداريين والذين لم يجلبـوا سابقا أتاوات لأي ملك ، وتمكن من دحرهم ورحّل من بقي حياً منهم وأسكنهم في السامرة • ويكرر الملك في هذا النص ذكر أستلامهالجزية من سمسي ملكة البلاد العربية وايتعمر السبأيي وكانت تراب الذهب والاحجار الكريمة والخيول والجمال(١٨) •

ويرد من بين أسماء الملوك الذين دفعوا الجزية لسرجون فرعون ملك مصر ، ويرد ذلك في نصين من نصوص الملك سرجون ، أحدهما من سنة حكم الملك السابعة والثاني من سنة حكمه الخامسة عشر(١٩)، وهي اشارة لم تسبقها أشارات لحروب الاشوريين ضـد مصر لا من زمن سرجون ولا الذين سبقوه من ملوك الدولة الآشورية ، وذلـك يرجح أحتمال كون احدى المدن الساحلية ، وفي أغلب الظـن غزه ، كانت تابعة لحكم فراعنة مصر ، بدليل أن الملك تجلات بلاسر الثالث يذكر في معرض سيطرته على مدن مجاورة لاورشليم غزه ، ويشير الى لجوء ملكهـــا الى مصـر ، مثـل ذلـك ذكـر ســـبأ وحاكمها (له تصفـه النصوص الآشوريـــة بلقــت ملــك) الـــذي دان للآشوريين ودفع الجزية لهم • فالمرجـح أن المقصود بسبأ ليس

مملكة السبأيين في جنوب غرب الجزيرة ، وانما واحدة من مستعمراتهم الشمالية على طريق التجارة العظيم ، طريق البخور المشهور ، وذلك في منطقة الحجاز ، وربما تكون ددان (العلا) حاليا كما أشرنا الى ذلك سابقا[٢٠] .

أما سنحاريب[*] (٧٠٤–٦٨١ ق٠م) الذي نال شهرة من حربه ضد أورشليم[٢١] ، فقد أشار مرارا في نصوصه الى العرب وبخاصة عند تحالفهم مع الثائر الكلداني مردوخ بلادان في بابل • ففي حملته الاولى ضد مردوخ بلادان التي تكللت بالظفر ، يشير سنحاريب الى أن من بين الاقوام التي دعمت الثائر ووقفت بجانبه ، العرب والاراميون والكلدانيون ، وانهم كانوا يسكنون الوركاء ونفروكيش وسپار ، وأن سنحاريب أسرهم وأحصاهم كغنائم حرب • وفي طريق عودته الى آشور ، حارب مجموعة من القبائل يذكر منها Rihihu Tu'muna ويداكو وعبودو وكبري وملاخو وكورومو وأوبولو ودامونو وخندارو وبكودو وحمرانو وهجرانو ونباطو والاراميين ، وأنه أسر منهم خلقا كثيرا وغنم خيولا وبغالا وحميرا وجمالا وماشية[٢٢] . والمرجح أنه سلك في طريق عودته الى آشور طريقا في البادية محاذيا لنهر الفرات ليلقي الفزع في نفوس القبائل التي أيدت مردوخ بلادان وينتزع منهم الولاء للاشوريين فكانت القبائل التي ذكر اسمائها في النص • ويذكر سنحاريب أيضا أسره لباسكانو أخو ياتعي ملكة العرب حيث غنم منه جمالا كثيرة[٢٣] .

ويذكر سنحاريب في نص آخر بخصوص حملته الثالثة التي كانت ضد أراضي الحثيين وصيدا وصور وآمورو وعكا ، وكيف أمتنع

حزقيا اليهودي عن الاستسلام ، حيث كان يعتمد على مساعدة المصريين والنوبيين ، ولكن سنحاريب أستطاع أن يقهره ويهزم العرب الذين جلبهم حزقيا الى أورشليم لمساعدته(٢٤) .

ويلاحظ على نصوص حملات سنحاريب أن ثورتي بابل وأورشليم وأحلافهما العسكرية شغلتا هذا الملك كثيرا ، بحيث لم يتوفر لديه الوقت الكافي لينصرف الى جهات أخرى ومنها مناطق العرب في البادية. ولكن من جانب آخر ، يتوضح لنا واقعا جديدا يشغله العرب ، وهذا الواقع الذي نستدله من نصوص الملك سنحاريب يؤكد ما أشرنا اليه سابقا من احتمال تلمس العرب لمصالحهم المتضررة بسبب هجمات الآشوريين . فقبل هذا الزمن تحالفوا مع دمشق ، ويتحالفون الآن مع بابل وأورشليم . واذا ما عرفنا أن هذه المدن الثلاث تمثل منافذ رئيسية لطرق التجارة البرية في الجزيرة العربية ، تربطها بمراكز الحضارات في الشرق الادنى القديم ، وبالتالي بخطوط التجارة العالمية، توضح لنا تدريجيا خط التحرك السياسي والعسكري للعرب الذي يحمي بظلاله خطوط تحرك مصالحهم الاقتصادية المتمثلة بطرق التجارة ونهاياتها المطلة على مراكز الحضارات في الشرق الادنى القديم .

فبابل منفذ رئيسي لخطوط التجارة بين بلاد وادي الرافدين والشرق عامة من جانب وبين سوريا وسواحل البحر الابيض المتوسط والعالم الغربي عموما من جانب آخر . كذلك دمشق ، فهي بوابة سوريا الجنوبية بالنسبة الى سكان الاقسام الشمالية من الجزيرةالعربية عربا كانوا أم غيرهم من الاقوام السامية . أما اورشليم فهي منفذ ثالث لخطوط التجارة العربية البرية في طريقها الى سواحل البحر

الابيض المتوسط وبلاد مصر •

ان عملية استقراء النصوص الآشورية تشير الى أن العرب كانوا ينتشرون في مناطق البوادي للأقسام الشمالية للجزيرة العربية من حدود الفرات شرقا والى خليج العقبة غربا ويتركزون في العقد الرئيسية على طرق التجارة في هذه الاقسام وبخاصة مدن الواحات منها ، وهم في ذلك يجاورون المدن الرئيسية في بلاد وادي الرافدين وخاصة بابل ودمشق في سوريا وأورشليم بالنسبة لسواحل البحر الابيض المتوسط، ولأنهم أصحاب الجمل الوحيدون ، فهم بالنتيجة سادة الخطوط التجارية البرية في اتجاهاتها المختلفة • فيكون طبيعيا أن يستفيد العرب من الاوضاع السياسة المضطربة على عهد سنحاريب أو غيره من ملوك الدولة الآشورية ، فيشهد نشاطهم السياسي امتدادا الى الفرات شرقا وأورشليم في الغرب •

ولما فرغ سنحاريب من تصفية خصومه السياسيين في بابل وأورشليم ، توجه في أواخر أيامه صوب ديار العرب • فبعث باحد قادته لمحاربة ملكة العرب (أسمها غير واضح في النص)[٢٥] • والتي تعيش في وسط الصحراء ، وانه غنم منها (١٠٠٠) جمل • وانها مع حزائيل ملك العرب تركا خيامهم وهربا الى أدوماتو (دومة الجندل) للنجاة بنفسيهما ، ويصف النص أدوماتو فيذكر انها تقع في الصحراء حث الظمأ ، وحيث لايوجد ماء ولا طعام[٢٦] •

أما أسرحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق•م) فيذكر في حملته على العرب مدينة أدوماتو (دومة الجندل) ويصفها بقلعة العرب الحصينة[٢٧] ، وهي التي سبق لوالده سنحاريب وأن تغلب عليها وغنم أموالها ونقل

تماثيل آلهتها كما نقل أسكلا ّتو ملكة العرب الى آشور .

وعلى عهد أسرحدون ، قدم حزائيل ملك العرب الى نينوى ومعه هدايا كثيرة وقدم لأسرحدون فروض الطاعة وطلب منه اعادة تماثيل الآلهة . ويذكر النص أن أسرحدون كان رحيما بحزائيل وأصلح ما تضررت به تماثيل آلهة العرب : أترسامين و داي أو ضي ونوحاي و رولدايو و أبيريلو و أتر قروما ، وأرجعها اليه بعد أن دو ّن عليها كتابة تظهر عظمة الآله آشور مع ألقاب الملك الخاصة . وعين تاربوا التي تربت في قصر والده سنحاريب ملكة عليهم وأرجعها الى بلادها مع آلهتها ، وفرض عليها جزية أضافية قدرها (٦٥) جمل . وبعد وفاة حزائيل ، نصّب أسرحدون ابن حزائيل ياتع على العرش[٢٨] ، واضاف الى الجزية المقررة سابقا ، (١٠) منات من الذهب و (١٠٠٠) قطعة من أحجار كريمة و (٥٠) جمل و (١٠٠) حافظة من الطيوب أضافة لما كان يدفعه والده[٢٩] .

ويواصل النص في سرد الاحداث فيذكر انه حدث بعد ذلك أن حرض « وهب » كل العرب للثورة ضد ياتع ، ويفسر نص أسرحدون هذه الخطوة بقوله « لانه أراد أن يكون ملكا » ، فيبعث أسرحدون بجيش لاسناد مركز ياتع وينجح في اخضاع كل العرب ، ويلقي القبض على وهب ومحاربيه ويجلبون أسرى الى أسرحدون[٣٠] .

ويؤكد أسرحدون في نص حملته على مصر أنه حمّل الجمال التي جلبها اليه كل ملوك العرب[٣١] بالماء .

وفي سياق نص أسرحدون عن حملته على دومة الجندل ، يذكر لنا هذا الملك عن بلاد صحراوية بعيدة جدا طريقها مملوء بالحجارة

والاشواك وتكثر فيه أفاع مجنحة وعقارب[٣٢]، وهي أرض بازو ، وفي طريقه الى هناك يخترق منطقة فيها جبال يسميها الملك في النص جبل حاسو[٣٣] وهي مناطق لم يصل اليها ملوك قبل أسرحدون . ومع تقدم الحملة الى قلب المنطقة ، يقتل أسرحدون ثمانية ملوك في تلك المقاطعات ويجلب آلهتهم وممتلكاتهم ويأسر منهم خلقا كثيرا[٣٤] .

وفي نص آخر من نصوص هذا الملك ، يكرر فيه نفس الاحداث ويضيف الى معلوماتنا عن أسماء الملوك الثمانية الذين قتلوا في هذه المعارك وهم : Kisu (قيس) ملك خالديسي (من المحتمل أنها بلاد خالديوم) و Agbaru, (آكبرو) ملك مدينة Ilpiate (الپياتي) و Mansaku (منساكو) ملك Magalani (ماجالاني) و Iapa' (يفع) ملكة مدينة Dihrani (ظهراني) و Habisu (حابيسو) ملك مدينة Kadaba (قداباع) و Niharu (نهارو) ملك مدينة Ga'pani (جعفاني) و Bailu, (باعلو) ملكة مدينة Ihilu (اهيلو) و Habanamru, (خبانامرو) ملك مدينة Buda' (بدع او جدّع)[٣٥] ويجدر التنويه الى أن اثنين من هؤلاء الملوك الثمانية ملكات وهن يفع وباعلو او باهلو .

كما يذكر النص أيضا أن من ملوك تلك المنطقة ملكا باسم Lailê (ليلع) ملك مدينة Yadi' (يادع) الذي أستطاع الهرب من وجه جيوش الملك . ولكن أسرحدون يعفو عنه ويعينه ملكا على بلاد بازو . فقد سبق لهذا الملك ان ذهب الى نينوى وقابل أسرحدون وقبل الارض عند قدميه ، فاعاده الملك مع تماثيل آلهته ملكا على بلاد بازو وفرض عليه جزية وأتاوات سنوية[٣٦] .

أما على عهد الملك الآشوري آشور پانيپال (٦٦٨–٦٣٣ ق•م)فقد بلغ العرب جانبا من القوة والتأثير السياسي حتى انهم تعرضوا لدولة الاشوريين بشكل غير مباشر •

يتبين من نصوص السنوات الاولى لحكم الملك آشور پانيپال ، أنه كان منهمكا في توطيد دعائم حكمه على مصر وبلاد النوبه (شمال السوان) ، ونفذ في سبيل ذلك حملتين كبيرتين لم يرد خلالهما آية اشارة للعرب ، مما يجعلنا نتوقع سوء العلاقة بين الطرفين ، وان العرب لم يكونوا على عهده مثلما كانت علاقاتهم باسرحدون عندما زودوا حملاته على مصر بالجمال • كما يحتمل أيضا أن يكون سبب عدم ورود ذكر العرب في هذه الحملات الاولى لآشور پانيپال هو بعد خط سير الحملات العسكرية هذه عن أراضي العرب ومناطق نفوذهم• وهذا الاحتمال يدعمه ذكر مدن ساحلية كصور وأرواد[٣٧] • ويبدو أيضا أن العرب أستغلوا فرصة انشغال الآشوريين بحروبهم في مصر والنوبه ، فنشطوا ثانية على الطريق التجارية الشرقية التي توصلهم الى بابل وعموا ثورة شمش شوم أوكن حاكم بابل ضد أخيه آشور بانيپال ، وهي الثورة التي جمعت حولها كل الناقمين على الدولة الاشورية وبخاصة بابل ، كما أنضم اليها السلاميون ونال شمش شوم أوكن تأييد العرب ودعمهم[٣٨] •

ولربما تكون هناك علاقة بين الاطراف الملتفة حول بابل في ثورتها على الآشوريين ، تتمثل في ترابط مصالحهم الاقتصادية وخاصة منها التجارية ، حيث يمكننا ترسم طريق تجارية خاصة تربط الشرق بسواحل البحر الابيض المتوسط وسوريا ومصر وهو الطريق الذي

يأتي من الخليج العربي أو الاقسام الجنوبية الغربية لايران (منطقة بلاد عيلام) ويلتقي في بابل في طريقه عبر مواطن العرب ومدنهم ومراكز سيادتهم في الاقسام الشمالية للجزيرة العربيـة وصولا الى مراكز أو منافذ الاسواق التجارية في سوريا وسواحل البحر الابيض المتوسط ومصر .

وفي حملة آشور بانيبال التاسعة ، يتوجه الملك على رأس جيشه مباشرة ضد ياتع ملك البلاد العربية ، لانه أخلّ باتفاقه ونكث حلفه ولم يتذكر معاملة آشور بانيبال الطيبة اليه ، وأنقطع عن تقديم الهدايا السنوية ، وأستمع مثل عيلام الى دعاية الثـوار البابليين ضد أكد ، وتخلى عن آشور بانيبال وضم قواه المسلحة الى أبي ياتع وأيامو بن تعري ، وأمرهم بمساعدة « أخي الشرير شمش شوم أوكن » ، وانه حرض كل سكان البلاد العربية للألتحاق به ، « فدحرته في معـركة دموية ، وحركت جيوشي من منافذ طرق عديدة ، من مـدن آزاريل وخيراتا في ايدوم ، ومن ممر يابرود في بيت آمون ، ومن حورينا في مؤاب ومن سعاري وخرجي في منطقة زوبا ، وقتلت كل سكان البلاد العربية الذين ثاروا معه ، ولكن ياتع أستطاع الهرب الى منطقة بعيدة ، فأحرقت جيوشي خيامهم ، وهرب ياتع لوحده الى بلاد الانباط »[٣٩] .

ونظرا لعدم ورود ذكر العرب من نصوص تسبق هذا النص من عهد آشور بانيبال ، فياتع هذا هو ابن حزائيل الذي عينه أسرحدون ملكا على البلاد العربية بعد وفاة أبيه ، وأسنده بجيش عندما ثار وهب ضده ، لذلك نشم رائحة الحنق الشديد عليه بالذات من بين العـرب الثائرين ، لان المفروض منه أن يبقى مواليا للآشوريين .

وفي تحقيق جغرافي تاريخي يرى موسيل أن أدوم ومؤاب هما البلدان المعروفان في التوراة ، وزوبا (صوبا) هي صوبيتي المملكة الارامية التي ذكرتها التوراة أيضا ، وكلها تقع على حافات البادية الشمالية . وان ممر يابرود يرتبط مع تنيت اليباردي Tenijjet al-Jabarde ويقع حوالي (٧٠) كم شمال شرق دمشق . وان منطقة حورينا تقع في مقاطعة سكان الحوارين ، وخرجي تشخص في مخلفات مستوطن حريقا (الحريضه) الذي يبعد حوالي (٦٠) كم شمال شرق حمص[٤٠]، واذا كانت تشخيصات موسيل صائبة ، وهذا ما نرجحه ، فيعني ذلك أن بلاد ياتع وحلفاءه تقع حوالي دومة الجندل وتيماء .

وأول ما يتبادر الى الذهن عند قبولنا لتشخيص موسيل بكون بلاد ياتع في حوالي دومة الجندل وتيماء صلتهما الوثيقة ببلاد الانباط ، لانهما تمثلان محطات تجارية هامة على الخطوط التجارية الرئيسية وبخاصة خط الجنوب الذي يقدم من جنوب الجزيرة العربية والخط الشرقي القادم من الخليج العربي وبلاد وادي الرافدين .

ونرجع ثانية الى نصوص الملك آشور بانيبال لنتعرف على مزيد من تفاصيل هذه الحرب ، فنقرأ ان ياتع (يوتع) يهرب الى بلاد الانباط لمقابلة زعيمهم « ناتنو » ولكن ناتنو يبدي قلقه من زيارة ياتع اليه ويقول له « كيف سأنجو من الآشوريين وأنك وضعتني بهذه الزيارة بجانبك » ومن شدة خوف ناتنو يبعث بالرسل الى آشور بانيبال ويعرض عليه اتفاقية سلم وافق أشور بانيبال عليها .

ويذكر لنا النص معلومات أخرى أضافية بخصوص يوتع (ياتع) بن حزائيل ابن أخ يوتع بن بردادا ، الذي جعل من نفسه ملكا على

البلاد العربية ، فيذهب لمقابلة آشور بانيپال ، ولكن آشور بانيپال يمعن في أهانته ويبقيه في نينوى[٤١] .

واذا أردنا أن لا نسير مع المعلومات التي تقدمها النصوص الآشورية كما يفهمها الآشوريون فعلينا أن نتوقع أن رسل ناتنو الى آشور بانيپال كانوا بمثابة وساطة بين ياتع وآشور بانيپال لعودة العلاقات الحسنة بينهما ، ودليلنا على ذلك أن ياتع يذهب لمقابلة آشور بانيپال ، وكأنه في عمله هذا يخبرنا أن ناتنو أستلم من رسله الى آشور بانيپال مواعيد مشجعة بخصوص ياتع ، لاننا لم نسبق بعلاقة بين الآشوريين وبين الانباط ، حتى تضطر زعيمهم ناتنو لعرض معاهدة سلام على آشور بانيپال ، فالمرجح أن ذلك كان بسبب ياتع ملك البلاد العربية . وسيتوضح لنا مبلغ غضب الانباط عندما أخل – كما يبدو من سياق الاحداث – آشور بانيپال بتعهده اليهم بخصوص ياتع ، حيث سنجد الانباط متعاونين عسكريا مع العرب ضد الآشوريين بعد هذه الحادثة .

ويبدو أن تصرف آشوربانيپال مع يوتع بن حزائيل كان غير متوقعا ، مما أثار حفيظة شعبه ، فاعلنوا الثورة ضد الآشوريين تحت زعامة زوجة يوتع ، حيث يرد في أحد نصوص الملك آشور بانيپال أنه أصطدم في معركة دموية مع عادية ملكة العرب وأحرق خيامها وأسرها ومعها خلق كثير ونقلهم الى آشور . وان عادية هذه هي زوجة يوتع[٤٢] ، وكان يدعمها في حربها ضد الآشوريين أمولادي ملك قيدار الذي وقع في الاسر معها بأيدي الآشوريين .

ونعتقد أن ثورة شعب يوتع بأمرة زوجته يحمل تفسيرات عديدة

نذكر بعضا منها بقدر ما يتعلق الموضوع بهذا البحث :ــ

١ ــ المكانة التي تحتلها المرأة في حياة العــرب القدماء ، حيث سبقتنا الاشارة الى ملكات وكاهنات •

٢ ــ تطور أنظمة الحكم ورسوخها عند العرب ، بحيث أن وفاة ملك أو قتله لم يسبب انفراط شمل التنظيم السياسي العام ، فيبقى الناس ملتزمين بولائهم لولي العهد الشرعي ، وفي حالة غيابه أو صغر سنه ، تكون زوجة الملك في حالات كثيرة من أنظمة الحكم القديمة ، المسؤولة عن تصريف شؤون التنظيم السياسي • وكان هذا الوضع معترفا به بين العرب بدليل تحالف زعيم القيداريين مع زوجة يوتع في حروبها ضد الآشوريين • وربما يكون من أسباب قوة مركز زوجة الحاكم في التاريخ القديم ، أن هذا المركز السياسي كان يستمد بعض مقوماته من الفكر الديني الذي عكس هالة من القدسية على شخصية الحاكم ، وتنسحب هذه القدسية على زوجته وأولاده وأفراد أسرته •

ويجهز آشورپانيپال حملة أخرى ضد أبي ياتع وأيامو بن تعري، الذين حركا جيوشهما لمساعدة شمش شوم أوكن ، وكانا يبغيان دخول بابل ، فقتل منهم كثيرا ، والذين نجوا من الموت ووصلوا بابل ، أكل بعضهم لحوم البعض الآخر من شدة الجوع ، وأخيرا فرّوا من بابل للنجاة بانفسهم ، فحمل عليهم جنود آشورپانيپال ثانيــة ، وينجح أبي ياتع لوحده من الجثو عند أقدام الملك طالبا العفو ، فيكون آشــور بانيپال رؤوفا به ويعينه بدلا من ياتع (يوتع) بن حزائيل ملكا عــلى العربية(٤٣) •

وتصلنا معلومات أضافية عن هذه المعركة والعلاقات التي أعقبتها

بين الآشوريين والعرب من حجره أسطوانية الشكل دون عليها نص يؤكد تعيين آشوربانيبال لأبي ياتع بن تعري بدلا من يوتع (يتع) ملكا على البلاد العربية ، وفرض عليه جزية سنوية ذهبا واحجارا كريمة وجمالا وحميرا • كما يأمر آشوربانيبال ملك مؤاب بشن حملة ضد أمولادي ملك فيدار(٤٤) •

وينجح أبي ياتع في أستمالة الانباط لمحاربة الآشوريين ، مخلا بالقسم الذي أداه أمام آشور بانيبال ويهاجم حدود أراضي الدولة الاشورية ، وينال الدعم في عمله هذا من ناتنو ملك الانباط(٤٥) •

وعندها يحرك آشور بانيبال جيوشه مباشرة قاصدا بلاد الانباط ، « تلك البلاد البعيدة » ، ويصف النص صعوبة الطريق حيث أعترضتهم سلاسل جبلية وصحاري قفراء حيث العطش فيها في بيته ، فلا ترى فيها حتى طيور السماء ، ولا ترعى فيها حتى الحمر الوحشية ، وكانوا في ذلك الطريق يتتبعون ياتع ملك البلاد العربية وأبي ياتع الذي سار مع قوى النبطيين • وتتوقف جيوش آشور بانيبال عند مدينة « لاريبدا » التي يصفها النص بكونها مسورة بحجر غير مهدم ، وعندها آخر مصادر الماء • فتزود الجيش منها بالماء ، وسار باتجاه المنطقة التي تشكو الظمأ عند حدود « حورارينا » ، ويحمل الجيش الآشوري على النبطيين وعلى « يسامع » Isamme' قبيلة الآلهة عتر سامين Atarsamain ، ويغنم منهم أموالا لا تحصى من جمال وحمير وبشر ، ويتغلبون كذلك على القيداريين الذي كانوا بزعامة يتع بن بردادا ويهجّرهم معه في طريقه الى دمشق ويأخذ ماشيتهم وجمالهم ونسائهم وآلهتهم •

ويشن آشور پانيپال حملة أخرى من دمشق التي يبـــدو أنـه أتخذها قاعدة لانطلاق حملاته على العرب لقربها من مواطنهم ، وينجح في السيطرة على أبي ياتع بن تعري القيداري (زعيم القيداريين) وغنم الجيش الآشوري أسرى كثيرين وماشية وجمالا نقلت جميعها الى بلاد آشور حتى بلغ سعر الجمل الواحد في بلاد آشور بسبب كثرة الغنائم أقل من شيقل واحد من الفضة(٤٦) .

ويظهر من أحد النصوص المسمارية المنشورة حديثا ، وهو من نصوص آشور پانيپال ، أن جنود هذا الملك قبضوا على يتـع ملك الاسماعيليين حيا وأمّولادي ملك قيـدار وجلبوهما الى آشـــور پانيپال(٤٧) .

وفي نص آخر يشير فيه آشور پانيپال الى « تعلخونو » الكاهنة العليا عندما غضبت من حزائيل ملك البلاد العربية وسلّمته الى يـد سنحاريب وقررت عدم البقاء مع العرب وهاجرت الى آشور ، فيأتي حزائيل لمصالحتها ويرجعها مع تماثيل آلهته(٤٨) .

لقد ورد ذكر الأنباط وزعيمهم ناتنو لاول مرة من عهد الملـك آشور پانيپال ، بينما ذكرت مرارا بلاد أدوم في الحملات العسكريـة الآشورية السابقة . حيث كانت المنطقة التي عرفت بعدئذ موطنـــا للنبطيين وهي المنطقة المحيطة بوادي عربه ومركزها جبل سعير ، كانت المهد الأصلي للأدوميين(٤٩) . وهي منطقة ستراتيجية تقع على مفترق طرق التجارة العربية القادمة من الجنوب أو الشرق والذاهبة عبر بـلاد أدوم سابقا والانباط فيما بعد الى سوريا وســـواحل البحر الابيض ومصر .

ان جميع الاشارات تؤكد ان نبياتي الآشورية تساوي نبايوت التوراة وهم من نسل اسماعيل • ويقرن أسم الانباط في التوراة دائما مع القيداريين وانهم من نسل أسماعيل ، وهذه القرينة لها دلالتها على الموضوع بخاصة وانها وردت في النصوص الآشورية أيضا(٥٠) • ويكون موطن الانباط على وصف النصوص الآشورية في الاقسام الجنوبية لمنخفض السرحان والصحراء جنوبه ، وهذا يوافق تحديد التوراة التي تجعل بلاد الانباط شرق آدوم وجنوب القيدراين الرعاة وتوصلهم الى حدود دومة الجندول ، لذلك كانت مقاطعة الانباط تحتل مفترق ثلاث طرق رئيسية للتجارة : الخليج العربي — دومة الجندل سوريا والاخر دمشق غزه والثالث مصر تيماء(٥١) •

ولكن أواخر القرن السابع ق•م• شهد تحرك هذه الاقوام العربية صوب بلاد أدوم ، لكون آدوم شهدت نشاطا تجاريا واسعا على طريق التجارة العربي الجنوبي ، وسببه أضطراب الاوضاع على الطريق الشرقي القادم من العراق والخليج العربي لكثرة حروب الآشوريين وأندلاع ثورة بابل بزعامة شمش شوم أوكن على أخيه آشور پانيبال، كما كان لتحالف العرب مع ثورة بابل أثره السيىء على خطوط التجارة الشرقية •

وآعتبر الآشوريون تحرك الانباط صوب بلاد أدوم موجها ضدهم ، فعدّهم آشور پانيپال في عداد القوى المناوئة لحكمه وحاربهم مرارا •

وكان سقوط الدولة الآشورية عام (٦١٢) ق•م فرصة جيدة أمام العديد من القبائل العربية لتحقيق طموحاتها في التمركز على بعض

عقد الطريق التجارية المهمة ، فنجح الانباط من الاستقرار في جبل سعير ودفع بالآدوميين للنزوح شمالا الى حدود يهودا الجنوبيةوالاقسام المجاورة للنقب[٥٢] • وعليه فان كافة المعلومات من عهود الكتاب الكلاسيكيين تربط بين البتراء والمنطقة المحيطة بها بالانباط[٥٣] •

انتهى حكم الآشوريين اثر الهجوم المظفر الذي قادته القوتان المتحالفان ، الكلدانيون والميديون ، ويؤرخ ذلك الحدث الخطير بعام ٦١٢ ق•م• ، وقد ذهبت كل محاولات الآشوريين بعد ذلك وسعي حلفائهم المصريين لايقاف عجلة التاريخ سدى • فقد وجه البابليون الكلدانيون بقياة نبوخذنصر قائد الجيش ووريث العرش البابلي ، ضربة للآمال المعقودة على تقدم المصريين ، ومع أطلالة عام (٦١٠) ق•م أصبح الكلدانيون حكام بابل الجدد ، سادة الموقف دون منازع في بلاد وادي الرافدين •

أن العامل الاقتصادي يفرض نفسه في غالب الاحيان في مقدمة العوامل المؤثرة على حركة التاريخ وأحداثه ، وسنلاحظ أثر هذا العامل الهام على طبيعة العلاقات بين البابليين والعرب •

كان لتوحد قوى الميديين وتركزهم في الاقسام الشمالية الغربيةمن ايران حول عاصمتهم أكبتانا (همدان الحالية) ، أبلغ الاثر على اقتصاديات الدولة البابلية الحديثة (الكلدانية) ، فقد أبعدهم ذلك عن السيطرة على الطرق التجارية القادمة من شرق وشمال بلاد ايران ، والتي كانت تتسرب سابقا نحو الغرب لصالح الآشوريين • لذلكتحولت أهتمامات الملوك البابليين صوب الناحية الغربية والجنوبية من البلاد السورية ، حيث مواطن العرب[٥٤] ، ولم تكن دوافع هذا الاهتمام

سياسية عسكرية فحسب ، وانما أقتصادية في المقام الاول ، ويتحول هذا الهدف الاقتصادي تدريجيا – ومع ازدياد الصعوبات المالية وتدهور الدولة الاقتصادي – الى هدف مركزي على عهد آخر ملوك البابليين نبونا ئيد •

ان البيانات المستمدة من أسعار المواد تشير الى ارتفاع كبير بلغ حدا وصل فيه الى حدود ٣٠٠٪ عن الاسعار المعروفة ، وكان ذلك مابين سنتي (٥٦٠–٤٨٥ ق٠م)[٥٥] • فكان هذا الواقع الاقتصادي المتدهور مع زيادة سيطرة الميديين على طرق التجارة البرية الشرقية والشمالية ، يضاف الى ذلك ظهور قوى فارسية جديدة تركزت في الاقسام الجنوبية الغربية لبلاد ايران في المنطقة المتاخمة لسواحل الخليج العربي الشرقية، التي عرقلت من دون شك استمرار مرور خطوط التجارة البحرية في الخليج العربي ، وهي تجارة كانت من أبرز مجالات الدول العراقية القديمة ضمن نشاطها الاقتصادي العام •

ويقابل ذلك ازدهار تجارة العرب في خطوطها البرية المختلفة وبخاصة خط التجارة العظيم الذي يقدم من جنوب الجزيرة العربية ، فكان ذلك كله دافعا قويا لان يقرر نبونا ئيد بنقل مقر امبراطوريته صوب الغرب الى واحة تيماء ، وهي عقدة رئيسية على طريق التجارة الجنوبي العظيم •

وفي ذلك لوحده دليل على قدرة بعض مناطق بلاد العرب لأن تحتل مركزا حضاريا مهما كما اصبحت تيماء على عهد نبونائيد ، وكما حصل للبتراء وتدمر فيما بعد ، وهذا بحد ذاته ينفي صفة البداوة المطلقة على كل العرب •

والمهم في أخبار الدولة البابلية الحديثة وأعمال ملوكها ، أنها قدمت لنا معلومات مهمة عن العرب ومدنهم ونشاطاتهم ، وهذا ما نعني به في هذا البحث •

كان انتقال الملك نبونا ئيد الى تيماء في السنة السابعة من حكمه كما جاء ذلك في جدول سنوات حكم الملك ، ولان بداية حكم نبونا ئيد هي عام (٥٥٥ ق٠م) ونهايتها عام (٥٣٩ ق٠م) وهي سنة سقوط بابل أمام زحف الفرس الأخمينيين بقيادة كورش ، لذلك تكون سنة انتقال نبونا ئيد الى تيماء سنة (٥٤٩ ق٠م) ويشير علينا نفس الجدول أن نبونا ئيد أقام طقوسا دينية في سنة حكمه السابعة عشر في بابل ، مما يتأكد معها عودته اليها ، وبذلك يكون قد أمضى زهاء عشر سنوات حاكما للأمبراطورية من مقر حكمه الجديد في تيماء ، أي بين سنتي (٥٤٩ــ٥٣٩ ق٠م) ويبدو أن نبونا ئيد عاد الى بابل بعد أن تأكد أنها ساقطة بايدي الاخمينيين ، ففي سنة عودة نبونا ئيد الى بابل ، يشير علينا جدول سنوات حكم الملك ، بتقدم كورش الاخميني ودخوله بابل دون معركة[٥٦] •

وفي نص آخر لنبونا ئيد كتب على غرار كتابة الشعر العراقي القديم ، يذكر الملك فيه ، أنه بعد ان أنجز الكثير من الاعمال العمرانية بدأ رحلة طويلة وأخذ معه جنود أكد وذهب الى تيماء التي تقع بعيدا الى الغرب ، وعندما وصلها قتل أميرها وذبح قطعان الماشية لسكان المدينة واطرافها وأستقر فيها وعسكر معه فيها جيش أكد • ويؤكد نبونا ئيد في نصه هذا أنه جعل من تيماء مدينة جميلة وبنى فيها قصرا مثل قصره في بابل وأحاطها بسور ، وبسبب تلف الاقسام الباقية من

النص يتعذر علينا متابعة اعمال الملك في تيماء[٥٧] .

ومن النصوص الهامة عن علاقة نبونا ئيد بالعرب نص كشف عنه عام ١٩٥٧ في حرّان ، وتمت دراسته وترجمته والتعليق عليه[٥٨] .

يتحدث نبونا ئيد في هذا النص عن هجرانه لبابل وذهابه الى مدينة تيماء وددانو وفداكو وخبرا ويديخو والى حد يثربو وأنه بقي عشر سنوات فيما بينها .

Tema' Dadanu, Padaku. Hibra, Iadihu Iatribu.

ويؤكد نبونا ئيد أن بلاد العرب وكل الملوك الذين أظهروا عداء ، أرسلوا لي برسلهم طالبين السلم وحسن العلاقات . وهناك مقطع آخر في النص فيه بعض التلف لكن يفهم منه ان بعض سكان البلاد العربية تعرضوا لنبونا ئيد وحاولوا نهب ممتلكاته ولكنه ينجح في القضاء عليهم وتشتيت قواهم مما أضطرهم للذهاب عنده والركوع بين قدميه.

وأخيرا ، وفي نهاية النص ، يذكر نبونا ئيد عودته الى بابل من تيماء حيث أمرته الآلهة بذلك بعد ان ظهرت له في المنام .

ان المدن التي ذكرها نبونا ئيد في نصه تكتسب أهمية خاصة ، وذلك لاننا شخصنا فيما سبق أن من الاسباب الجوهرية لانتقال نبونا ئيد الى تيماء هو السبب الاقتصادي ، وعليه فان هذه المدن كانت تحتل مراكز ذات تأثير كبير على النشاطات الاقتصادية والسياسية في الجزيرة العربية ، وأبرز أثر اقتصادي لها يأتي من وقوعها على الطريق التجارية الرئيسية القادمة من جنوب الجزيرة العربية .

ان تيماء ترتبط دون أدنى شك بواحة تيماء الكائنة في الاقسام الشمالية الغربية لنجد ، وقد عثر في تيماء على مسلّة تذكارية مصورة

وبعض اللقى الاثرية تثبت دراستها أنها متأثرة بالنتاجات البابلية المماثلة[٥٩] •

أما ددانو التي ورد أسمها في التوراة بصيغة ددهان ، وتربطها التوراة بتيماء عند ذكرها عدة مرات ، وقد شخصت ددان منذ مدة طويلة وبشكل أكيد من كتابات عثر عليها في تلك المنطقة ، وأسمها الحالي العلا وتبعد (٧٠) ميلا جنوب غرب تيماء[٦٠] •

أما فداكو أو يداكو فانها ترتبط بفدك الواحة الخصبة التي تبعد مسيرة يومين الى ثلاث من رحلة بعير الى الشمال من خبر • وتذكر فدك في أحد نصوص حرّان قبل خبرا وفي الآخر بعدها ، مما يجعلنا نستنتج أنهما مرتبطتان ومتقاربتان من بعضهما وربما يكون في ذلك دليل على كون خبرا في نص حرّان هي واحة خيبر • فخيبر وفدك لم يكونا متقاربتين فحسب وأنما كانتا متصلتين جدا على أيام الرسول محمد(ص)[٦١] •

أما يادخو فترتبط بيادع وهي منطقة بين فدك وخيبر وبها عيون ماء[٦٢] • واخيرا يتربو التي تشير الى أسم يثرب مدينة الرسول الاعظم•

ومما يؤكد اقتران المدن التي ذكرها نبونا ئيد بالمدن التي أشرنا اليها ، كونها تقع على الطريق التجاري الجنوبي ، ولانها تتميز بتربها الخصبة وبساتين نخيلها ومياه عيونها ، فقد جعلت هذه المواصفات منها مراكز أستيطان عربية قديمة ، وأجبرت خطوط التجارة المرور بها ، كذلك شجعت نبونا ئيد لشن الحملات العسكرية عليها من أجل اخضاعها واحكام السيطرة عليها ، وترك حاميات عسكرية في بعضها والتجوال فيما بينها بين الحين والآخر •

فديدان مثلا ، كان لها تاريخ طويل مستمر لنفس الغرض الذي تحرك من أجله نبونا ئيد فقــد كانت تحت حكم المعينيين والسبأيين لبضعة قرون الى أن تحولت السيطرة عليها الى أيدي الانباط[٦٣] •

وبذلك تكون المدينة او يثرب أبعد النقاط الى الجنوب وصلتها التأثيرات البابلية ، والمتوقع اذا ما شهدت مدن الواحات هذه تنقيبات علمية واسعة ، أن تقدم لنا معلومات أخرى ثمينة عن الواقع السياسي والاقتصادي لسكانها العرب في تاريخهم القديم •

آل الحكم في بلاد وادي الرافدين وسوريا ومصر الى الفــرس الاخمينيين بعد سقوط بابل ســنة (٥٣٩ ق•م) • وكانت مشاريــع الاخمينيين الاقتصادية والعسكرية تتركز في سوريا وبلاد الاناضـول وسواحل البحر الابيض الشرقية ، لذلك كان أصطدامهم بقوى اليونان النامية في آسيا الصغرى الغربية وبعض جزر الارخبيل اليوناني •

وبصرف النظر عن روايات هيرودوس التي تشير الى تعاون العرب مع قمبيز وبخاصة في عبوره لصحراء سيناء لاحتلال مصر[٦٤] ، فاننــا نعرف نصا دون بالمسمارية على غرار النصوص التذكارية العراقيــة ، دونه كورش الثاني (٥٥٧ـ٥٢٩ ق•م) يشير فيه الى أن من بين الذين دانوا اليه وقدموا الهدايا سكان الغرب الذين يعيشون في الخيام ، وعلى الرغم من كون هذه الاشارة عامة قد تشمل العرب أو غيرهم من سكان البوادي ، ولكن قياسا على تطور العــرب وحجم دورهم السياسي والعسكري والاقتصادي كما كشفته لنا نصـوص الملوك الآشوريين والبابليين نتوقع أن يكون العــرب هم المقصودين في نص كورش هــذا[٦٥] •

أما الملك الاخميني أحشويرش (٤٨٥–٤٦٥ ق٠م) فانه يشير صراحة الى امتداد حكمه على البلاد العربية ، فيبدأ بذكر بلاد ميديا وعيلام وأورار تووبكتيريا وبابل وآشور وساردس ومصر والايونيين وفي تعداده هنا يذكر بلادا باسم Maka بعدها البلاد العربية ثم الهند وكبدوكيا ٠٠ الخ[٦٦] ٠

ولنا ملاحظة أخيرة على نص أحشويرش هذا ، أنه يذكر محاربته لهذه الاقطار بسبب ثورة بعضها عليه ولان البعض الاخر يعبد آلهته من الشياطين ، فانه حاربها ومنعها من ذلك وفرض عليها عبادة آهورا مزدا ، كبير الآلهة ، آله الخير والنور في الديانة الزرادشتيه ٠ ويعد هذا تغير نوعي جديد في أحداث الشرق الادنى القديم ، أدى من دون شك الى مزيد من أستقطاب القوى في الصراع السياسي والعسكري للعالم القديم ٠

ـ ملحق البحث ـ

وردت كلمة عرب كاسم علم على بلاد بالصيغ التالية :ـ[٦٧]

mat Arbi ـ عربي (بلاد العرب) من نص شيلمنصر الثالث (٨٥٣ ق٠م) ٠

mat Aribi ـ عريبي (بلاد العرب) من نص تجلات بلاسر الثالث (٨٣٨ ق٠م) ٠

mat Aribu ـ عريبو (بلاد العرب) من نص تجلات بلاسر الثالث (٨٣٢ ق٠م) ٠

mat Ar-ba-a-a ـ عربايا (بلاد العرب) من نصوص سرجون الآشوري (٧٢١–٧٠٥ ق٠م) ٠

mat Aribi – عريبي (بلاد العرب) من نصـوص سنحاريب (٧٠٣ ق٠م) ٠

mat Aribi – عريبي (بلاد العرب) من نصـوص آشور بانيبال (٦٥٩ ق٠م) ٠

mat Arabi – عرابي (بلاد العرب) نص حـــران لنبونائيـد (٥٤٩ ق٠م) ٠

ان الصيغ المختلفة التي وردت بها كلمة عرب سبقتها دائما العلامة الدالة على أرض او بلاد في الكتابة المسمارية وهي Mat مما يؤكد الترجمة العربية التي ثبتناها وهي البلاد العربية أو بلاد العرب ٠

وجاءت الكلمة نفسها كأسم علم على قوم وبالصيغ التالية :ـ

amel Ur-bi = عُربي (الاقوام العربية ـ العـــرب) من نص لسنحاريب (٧٠٣ ق٠م) ٠

amel Aribi = عريبي (الاقوام العربية ـ العـــرب) من نص لسنحاريب (٧٠٣ ق٠م) ٠

amel Aribi = عرابي (الاقــوام العربية ـ العـــرب) من نص لسنحاريب (٧٠٣ ق٠م) ٠

ان العلامة التي قرائتها amel المعلقة مع بداية الكلمة علامـة دالة على أبناء أو قوم أو شعب ٠

ووردت الكلمة كنسب لشخص بصيغة (العربي) بالشكل التالى:ـ

Arubu = عروبو (العربي) من نص لتجلات بلاسر (٧٣٤ ق٠م) عندما عين اديبائيل العربي مقيما عنه في مصر ٠

Urbi = عُربي (العربي) من عهد سنحاريب لكن القراءة محاطة

بالشك ٠

في ختام هذا البحث نود أن نطرح بعض الاستنتاجات التي أملتها علينا مجريات الاحداث التاريخية التي تابعناها عن العرب ، كما نترك ملاحظات أخرى لاجتهاد باحثين آخرين لهم دراية أعمــق بجوانب مختلفة من تاريخ العرب القديم ٠ ولسهولة التركيز نقدم الاستنتاجات التي نعتقدها على شكل نقاط :ـ

١ ـ ان نص شيلمنصر الثالث الذي دون أحـداث حـرب القرقار (٨٥٣ ق٠م) والذي ورد فيه أول ذكر للعرب ٠ لايمكن اعتماده لتاريخ بداية ظهور هذه الاقوام ، لان النص فيه الوضوح الكامل عن شخصية مستقلة لهذه الاقوام ، وانهم أخذوا يملأون حيزا في الاحداث السياسية والعسكرية لعالم الشرق الادنى القديم ، فلا يمكننا والحالة هذه تصور العرب في بدايتهم ولاننا أشـرنا بالتعليق على هذه النقطة في بداية البحث ، نؤكد هنا أن أفضل تاريخ مرجح لبداية ظهور العرب كقوم متميزين من أقوام الشرق الادنى القديم ، علينا أن نفتش عن قرين ملاصق للعرب ، وهذا القرين هو الجمل الذي يبرز كحيوان في المنطقة له أهميتـه الواضحة مع بداية ظهور العرب ويبقى ملتصقا بهم وباخبارهـم بشكل أستثنائي تماما ٠

٢ ـ من خلال تتبعنا للنصوص المسمارية التي أوردت ذكر العـرب وبلادهم ليوضح لنا التوسع التدريجي لحجم العرب السياسي والاقتصادي والحجم الجغرافي لمناطقهم ، وهي مسألة طبيعية في تطور الشعوب وازدياد قوتها وتوضيح مكانتها ، وبخاصة

تلك الشعوب التي تجد مقومات تطورها الاقتصادي والسياسي متهيأة ، وتنجح في الاستفادة من الامكانات المتاحة أمامها وتعمد الى تطوير واقعها .

فالذي نعتقده أن العرب أقوام قديمـــة جدا في سكنى الجزيرة العربية ، وأن هناك جملة أسباب جعلت من مطلع الالف الاول ق.م. بداية ظهورهم على مسرح الاحداث التاريخية لمنطقة الشرق الادنى القديم ، منها تحول خطوط التجارة من مساراتها عبر سوريا الى خطوط جنوبية على حافات الباديـة الشماليـــة للجزيرة العربية ، بعيدا عن سوح المعارك الملتهبة لقرون عديدة على الارض السورية . ومنها أيضا ازدهار خط للتجـارة يربط الاقسام الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية بمراكز الحضارات الشرقية القديمة ، ويرتبط ازدهار خط التجارة الجنوبي هـذا بقيام أقدم مركز حضاري في الجنوب العربي متمثـــلا بالدولة المعينية التي يرجح قيامها في القرن التاسع ق.م .

ومن أسباب ارتباط الطرق التجارية البرية بالعرب بشكل رئيس من بين أقوام الجزيرة العربية القدماء ، أمتلاكهم للجمل الذي يرتبط بهم أوثق ارتباط ، ولا سبيل غير الجمل (سـفينة الصحراء) لعبور المناطق الصحراوية .

أما عن سبب ظهور أقدم اشارات عن العرب في النصوص الآشورية ، فيرجع لكون الآشوريين أصحاب السيادة في المراكز المتحضرة في كل من سوريا والعراق ، وهما أقرب المناطق لبلاد العرب ومنافذهم على العالم الخارجي ، كما أن جانبا من الطـرق

التي تربط أرض الرافدين ببلاد الشام تمر بمناطق البادية الشمالية للجزيرة العربية • ولهذا نجد أن الحدود الجغرافية لارض العرب كما ترسمها لنا النصوص الآشورية ، تنحصر في الاقسام الشمالية للجزيرة العربية وتمتد غربا وجنوبا مع ازدياد احتكاك الآشوريين بالعرب وأكتشافهم مواطن جديدة للخيرات وطرق القوافل وهي التي يستمد منها العرب قوتهم وأسباب صمودهم •

٣ ـ ورد ذكر العرب وبلادهم بمعية مجموعة من المدن ، من أهمها ، أدوماتو (دومة الجندل) التي وصفت بانها قلعة العرب الحصينة، كما ورد ذكر تيماء وددان (العلا) وفدك وخيبر ويثرب ، وكلها مدن واحات وعيون ماء معروفة حتى الوقت الحاضر ، وتتوقع قيام نوع من الزراعة فيها ، كحالة بعضها في الوقت الحاضر ، بالاضافة الى دورها كعقد رئيسية على الطرق التجارية •

٤ ـ عرفنا من خلال النصوص التي عرضنا لها سابقا ، اسماء مجموعة من ملوك وملكات للعرب ، كذلك وقفنا على أسماء بعض آلهتهم وكبار الكاهنات عند بعضهم ، وفي ذلك دلالة واضحةعلى تطورهم السياسي وكبر حجم مؤسساتهم الدينية ، حيث عمد الملوك الآشوريون مرارا الى أخذ تماثيل آلهة العرب وأسر الكاهنات ونقلهم الى آشور ، وقد دفع ذلك زعماء العرب لاسترضاء الآشوريون عن طريق الهدايا ومضاعفة دفع الجزية السنوية من أجل استعادة هذه التماثيل والكاهنات •

٥ ـ تشير مواد الجزية المفروضة على العرب والغنائم التي حصل عليها

الآشوريون من حملاتهم ، الى ثروات كبيرة ومنوعة عند العرب، منها الذهب على شكل تراب ، والأحجار الكريمة والطيوب ، ومن أبرز الحيوانات التي آخذت كجزية أو غنيمة حرب هو الجمل ، وكلها تشير الى امكانات مادية كبيرة يسعى الآشوريون للأستحواذ عليها ، كما أنها تشير الى أمتلاكهم ناصية الخطوط التجارية البرية في الجزيرة العربية •

٦ ــ ميزت النصوص المسمارية العــرب وبلادهم عن غيرها بشكل واضح ، ففي الوقت الذي ذكرت فيه النصوص المسمارية قبائل وشعوب أخرى من سكان الجــزيرة كالثمــوديين والسبأيين والايباديدي والقيداريين ، ذكرت العــرب كقوم لهم كيانهــم وأرضهم الخاص بهم وأسمت بلادهم ببلاد العرب •

٧ ــ وأخيرا ، فاننا نعتقد في أن الملاحظات السابقة كافية لتلقي ضوءا ساطعا على العرب وتكشف هويتهم ، وبالتالي ان كانوا بدواً أو متحضرين ، متحفظين حتى في الحديث عن بداية العرب واقــرار كونهم نشأوا كغيرهم من الاقوام السامية بدواً أو أنصاف بدو •

ومما يدعم قولنا في أن العرب يجب عدم اعتبارهــم بدواً كاملي البداوة خلال فترات تاريخهم القديم ، هو ان النصوص المسمارية تورد علينا أسم قوم معينين تنسبهم الى الصحــراء مباشرة • فيرد في نصوص سرجون الآشوري ذكر أقوام يصفهم Sa-ab Seri = جنود الصحراء ، أو سكان الصحراء ، ويذكرهم سنحاريب أيضا ويدعوهم Sutu Sabe Seri = السوتو جنــود الصحراء[٦٨] ، وفي نص من عهد أسرحدون يصف السوتو هؤلاء

بسكنة الخيام[٦٩] .

هذا مع العلم أن بعض الباحثين يرون في أرض الجزيرة العربية وخصائصها الجغرافية والمناخية شكلا آخر في العصور القديمة عما هي عليه الآن ، مستندين في رأيهم هذا على آراء بعض مستكشفي الجزيرة العربية وبقايا المخلفات البنائية والقبور ، وبقايا البحيرات الجافة والوديان الكبيرة ، والى بعض الاشارات في النصوص القديمة التي يفهم منها ان مياه الارض العربية قديما كانت أغزر بكثير مما هي عليه الآن[٧٠] .

الهوامش

١ ـ د . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ج١ ص١٣ فما بعد مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٩ .
د . خالد العسلي « الاعراب في النقوش العربية الجنوبية » ترجمة، مجلة : العرب ج٥ س٥ كانون الثاني ـ ١٩٧١ ص٢٦ فما بعد .
زهير أحمد القيسي « أقدم ذكر للعرب في مدونات ما بين النهرين» مجلة بين النهرين العدد ١٦ ٤/١٩٧٦ ص٣١١ـ٣١٦ .

(2) J. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Third Edition with Supplement, Princeton, New Jersey, 1969; p. 278-79:
D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB) Vol. I. p. 223, Text No. 211. New York 1968.

(3) H.W.F. Saggs, The Greatness that was Babylon, London 1962. p. 90 ff.

(4) Pritchard, ibid, p. 275.

ويمكننا اعتماد ذكر « تدمر » في هذا النص كأقدم أشارة تاريخية لهذه المدينة العربية .

(5) Pritchard, op. cit. p. 274-76.

(6) ibid, p. 275.

(7) Alois Musil, Arabia Deserta, p. 477, New York 1927.

(8) Luckenbill, op. cit, Vol. I, p. 277; T. No. 772; Pritchard, op. cit. p. 282-83.

(9) ibid., p. 279, T. No. 779.; Pritchard, ibid.; P. 383.

١٠ـ مسّا في سفر التكوين ٢٥ : ١٣ أنظر
A. Grohmann, Arabien, p. 22. Munchen 1963.
A. Musil, op. cit. p. 478.
ويضعهم موسيل في المناطق الجنوبية لحدود دمشق .

١١ـ يرى گرومان (Arabien p. 22) أحتمال كون سبأ وبدانا مستعمرتان سبأيتان شماليتان أي انهما في مناطق الحجاز حيث مرور خط التجارة الرئيسي الجنوبي القادم من العربية السعيدة صوب بلاد الشام وسواحل البحر الابيض ومصر . ويقرن موسيل بين بدانا وأسم قبيلة « بدون أو مدون » التي تقيم في نجد الحجاز

الى الجنوب الشرقي من واحة العلا أو ديدان القديمة (موسيل شمال الحجاز ص ٨٩ـ٩٠ . الاسكندرية ١٩٥٢ ترجمة د . عبد المحسن الحسيني) أما الخاتيون فيرجح موسيل أنهم يتصلون بقبيلة « حث » القريبة من الادوميين (تكوين ٢٦ : ٣٤ ، ٣٦ : ٢) وتكون منطقتهم الارض المجاورة لادوم (موسيل : شمال الحجاز ص٩١).

١٢ـ يذكر سفر التكوين (٢٥ : ١٢ـ١٦) ما يلي : « وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية ساره لابراهيم . وهذه أسماء بني أسماعيل باسمائهم حسب مواليدهم . بنايوت بكر أسماعيل وقيدار وأد بئيل ومبسام وشماع ودومه ومسّا وحدار وتيماء ويطور ونافيش وقدمة ، هؤلاء هم بنوا اسماعيل وهذه

أسماؤهم بديارهم وحصونهم » ويرى موسيل أن قبيلة أدبئيل هي بعينها المذكورة في التوارة وكانت ديارهم بالقرب من غزه في الجنوب الغربي منها قريبا من حدود مصر نفسها (موسيل : شمال الحجاز ص٩١) ويتفق كرومان مع موسيل في ربط قبيلة أديبعلي مع أدبئيل التوراة . (Gronmann, ibid, p. 22).

١٣- من الارجح أن الاعداد الكبيرة من الجمال والماشية التي ذكر النص قتلها من قبل جنود الملك ، كانت ضمن الغنائم ، بخاصة وان الملوك الآشوريين كانوا يقصدون مثل هذه المغانم ، فلربما كان ذلك خطأ من قبل كاتب النص . وسواء اكان هذا الاستنتاج مقبول ام لا ، لكن تبقى حقيقة الاعداد الضخمة من المواشي والجمال قائمه وهي تشير بوضوح الى أهمية مملكة سمسي العربيه ومقدار ثرائها .

١٤-« ولقد عاد أيوب في مرضه أربعة من أصدقائه وهؤلاء الاربعة هم اليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماني (سفر أيوب ٢:١١) والبهو البوزي (سفر أيوب ٣٢ ف ٢ ، ٦) ووفقا لما ورد في سفر التكوين (٢٢ : ٢١) فان قبيلة بوز كانت ترجع الى نفس الاصل الذي يرجع اليه عوص . واذا أتخذنا الوثائق الاشورية اساسا لتحديد ديارهم فاننا نتوقع أن نجد مدينتهم الرئيسية في منخفض السرحان . فقد حفظ لنا أسم هذه القبيلة في التسميه المحلية للمكان المعروف الان بأسم« بيظ أو بيذ» اذ كان يحيط به ولايزال بعض المساكن والحلل . وفي منطقة قبيلة بوز هذه كان يمر طريق القوافل الرئيسي الذي كان يصل بين بابل والخليج العربي وبين مصر وسوريا ، ولذا نستطيع أن نفهم كيف أن البوز قد هددوا بالتدمير على أيدي البابليين كما هدد أهل تيمان وديدان كذلك (سفر أرميا ٢٥ : ٩ ، ٢٣) ، (موسيل ، شمال الحجاز ص١٧) .

(15) Pritchard, op. cit, p. 284; Luckenbill, op. cit.; vol. I, p. 293, T. No. 817.

(16) ibid, p. 283.

ومن المحتمل أن الكلمة التالفة في النص والتي رجحها مترجم النص بأن تكون (الانباط) ، يمكن أن تكون (أدوم) ، خاصة اذا ما عرفنا أن المنطقة بين أورشليم وغزه كانت موطنا للأدوميين قبل مجيىء الانباط اليها ، وقد ورد ذكر بلاد أدوم في نصوص أدد نراري

الرابع وتجلات بلاسر الثالث وسنحاريب وأسرحدون وآشور پانيپال، بينما ورد أسم الانباط لاول مرة في النصوص الآشورية على عهد آشور پانيپال كما سنعرض لنصوصه فيما بعد ، لذلك نرجح أن تكون الكلمة التالفة بلاد أدوم وليست الانباط · أنظر :

(G.L. Robinson, The Sarcophagus of an Ancient Civilization, p. 175, 357ff. New York 1930).

ووفقا لهذا التعيين فان سرجون الثاني قد أتجه في حملته هذه جنوبا على طول الطريق التجاري العظيم وشنّ الغارة على أماكن عدة واحات كانت تسكنها هذه القبائل ثم أخذ الاسرى فنقلهم الى السامرة· (موسيل ، نفس المصدر ص٩٥) ·

(17) Pritchard, op. cit. p. 285.

ويرى موسيل ، لان التوراة أشارت الى سكنى السبأيين في واحات ويحملون تجارتهم بواسطة قوافل (سفر أيوب ٦ : ١٩) لذلك فان ديدان هي مقر الزعيم ايتعمر السبأيي الذي ورد ذكره في نص سرجون (موسيل : شمال الحجاز ص٨٧) ·

(18) Pritchard, ibid, p. 286; Luckenbill, op. cit. Vol. II. p. 7, T. No. 17, 18.

أما قبيلة ثمود الوارد ذكرها في النص فيرى موسيل أنها ثمود بعينها التي يذكرها الكتاب الاقدمون من يونان ورومان ، فأجاثار شيدس يشير الى شاطىء صخري يبلغ طوله مائة ستاد ويقع وراء الجزر الصغيرة قريبا من الخليج الطويل للبحر الاحمر (خليج العقبة) ويقول أن هذا الشاطىء كان يسكنه العرب من الثموديني ويذكر أورانيوس أن ثمود كانت تقع على حدود المقاطعة العربية النبطية · ويذكر بطليموس في جغرافيته كلا من الثموديتاي والثموديناي في الجزء الشمالي الغربي لبلاد العرب · ووفقا لنقوش معبد الغوافه الذي بني بين نهاية عام ١٦٦م وبداية ١٦٩م ، والذي بنته قبيلة ثمود ، فان ثمود في منتصف القرن الثاني الميلادي كانت تملك حرة العوارض وحرّة الرحا · وكانت منازلهم تقع الى الغرب من تيماء قريبا من الطريق التجاري العظيم الذي يصل بين الجنوب الغربي لبلاد العرب وبين سوريا ومصر · ثم يستعرض موسيل ما ورد في القرآن من أخبار ثمود والناقه وصالح ومخالفتهم لاوامر الله مشيرا

الى وصف مساكنهم كما ورد في القرآن الكريم (سورة هود) ويخلص من ذلك كله الى ان البقعة المحيطة بواحة الحجر كانت ملكا لقبيلة ثمود ومن المؤكد ان الساحل جميعه كان ملكا لهم ايضا لان القبائل الساكنة على الساحل كان لابد لها من ان تعترف بسلطان القبيلة التي يقع في ارضها امر ز التجاري في الحجر (مدائن صالح) وبالتالي فان قبيلة ثمود التي ترد في النصوص الاشورية كانت تسكن في نفس المكان الذي تسكنه قبيلة حايابا او عيفه – كما تذكر في الكتاب المقدس – والتي حفظ اسمهـــا كما رأينا في أسم غوافه ٠ والكتاب المقدس لايشير اية اشارة الى قبيلة ثمود (موسيل ، شمال الحجاز ص٩٢–٩٣) اما أباديدي فانها بعينها ابيـداع المذكوره في الكتاب المقدس وتعتبر وفقا (تكوين ٢٥ : ٤) احد اولاد ابراهيـم

من زوجته قطوره ٠ فأبيداع أو أباديدي قبيلة من قبـــائل مدين المتصلة بعيفه ، فيجب أن نحدد الموضع الذي كانت تقيم فيه عنـد الطريق التجاري العظيم الى الجنوب الشرقي من ايلات – القعبــة (موسيل ، نفس المصدر ص٩٣) أما مرسماني فيرد في المصـادر السريانية ذكر قبيلة باسم مرسماني ويربط موسيل بينها وبين أسم بتميزومانيس عند أجاثا رشيدس وبني زومانيس عنـد ديودور ويخلص الى أن الاسماء الثلاثة لقبيلة واحدة وموقعها الاقليم الواقع الى الغرب من تيماء وغرب الطريق التجاري العظيم ، ويصل ذلـك

على رأي موسيل الى نفس الاقليم الذي يضع فيه الكتاب الاقدمـون واحة مدياما حيث نبحث فيه تبعا للنصوص المقدسة عن أرض مدين (موسيل ، نفس المصدر ص٩٤) فالقبائل الاربعة التي ذكر سرجون اسماءها يمكن ان تدخل جميعـــا ضمن قبائل مدين التي تذكرها التوراة فخايابا أو عيفه ترجع الى أهل مدين – بكل تأكيد – وأباديدي أو أبيداع من المحتمل جدا أنها ترجع الى أهل مدين ، وثمـــودي ومرسيماني ترجعان كذلك الى أهل مدين اذا أدخلنـــا في اعتبارنا الموضع الذي كانتا تحتلانه ٠

(19) Luckenbill, op. cit. Vol. II, p. 7, T. No. 18; p. 26; To. No. 55.

(20) A. Musil, Arabia Deserta, p. 479.

(21) Pritchard, op. cit., p. 287.

(22) Luckenbill, op. cit. II, p. 116, T. No. 234.

(23) ibid., p. 130, T. No. 259.

(24) ibid., p. 143, T. No. 312.

(*) وهو الملك الوحيد من ملوك الدولة الآشورية الذي يسميه هيرودتس بملك العرب والاشوريين .

(Herodotus, II, 141)

٢٦ـ من المرجح ان يكون أسمها أسكلاتو التي ذكرها أسرحدون فيما بعد، لان أسرحدون يتحدث في أول النص عن انجازات أبيه سنحاريب العسكرية وأسره للملكه التي كانت متعاونه مع حزائيل .

(26) Luckenbill, op. cit. II, p. 158. T. No. 358.

٢٧ـ دومة وسكانها تخص الاسماعيليين (تكوين ٢٥ : ١٣ فما بعد) ويرى موسيل أن دومة الجندل اذا كانت مركز الوسط للقبائل العربية الشمالية ، فان حدودهم وتأثيرهم لابد وان يصل لاطراف بابل وان طرق التجارة كانت تقدم من بابل بالحبوب والملابس والمواد الاخرى الضرورية لسكان الواحة ، وكانوا ميالين للتعاون مع البابليين، وكانوا كذلك خلال فترات الصراع بين البابليين والاشوريين ، لذلك وجه الاشوريون الى القبائل العربية التي تحالفت مع مردوخ بلادان ضربات شديدة وفرقتهم حول قلعة الدومة :

(A. Musil: Arabia Deserta, p. 480)

ويشير وصف دومة الجندل بكونها قلعة العرب الحصينة الى تطور نوعي ملحوظ في أساليب الحرب عند العرب ، حيث لم يسبق أسرحدون أحد من الملوك في الاشارة الى قلاع محصنة عند العرب ، وبالتالي فقد يكون بناء القلاع المحصنة من قبل العرب زيادة في الاستعدادات العسكرية ضد الاشوريين ، كما تشير هذه النقطة من جانب آخر الى أقوام مستقرين يدافعون عن ممتلكاتهم وأنفسهم من خلال مدينة محصنة ، ولما كانت دومة الجندل تحتل مكانة بارزة على خطوط التجارة ، فقد أضحى الدفاع عنها وتحصينها أمرا ضروريا من قبل أصحابها العرب . لذلك كانت مناعة دومة الجندل ووقوعها

على الطريق التجارية وصلتهـــا ببابل من الاســـباب التي دفعت بالاشوريين لمعالجة أمرها بشتى الوسائل ٠

٢٨ـ وفي نص اخر للملك نفسه يكرر فيه نفس الحوادث يذكر أسم يعلو بدلا من ياتع :
(Luckenbill, op. cit. II, p. 214, T. No. 536)
ويرى موسيل أن حزائيل هذا هو زعيم القيداريين
(Musil, ibid, p. 482)

٢٩ـ عمد أسرحدون الى أسلوب مختلف في معالجة بعض المشاكل المستعصية على الدولة الآشورية ، وبخاصة مشكلة بابل وثوراتهـــا المستمرة ومشكلة العرب ٠ فعمـــد الى أسلوب سياسي بـدلا من الاساليب العسكرية ، وعمد الى ترضية بابل باعادة تمثال الآله مردوخ الذي سبق لسنحاريب أن نقله الى نينوى ، وخطى الخطوة ذاتها مع العرب٠ وأخذ يتدخل في شؤونهم السياسية بالضغط لتعيين ملك أو ملكة من

الموالين للاشوريين في محاولة لاحتوائهم ، وعلى الرغم من فشـــل هذا الاسلوب وأنتباه العرب اليه وثورتهم على ذلك كما سنتعرف قريبا من خلال تتبعنا للاحداث على عهد أسرحدون ٠ لكن هـــذا الاسلوب يشير في بعض مضامينه الى قوة عظيمة للعرب أستعصت على الاشوريين وشغلتهم كثيرا ، وخاصة وان كان يسير كما يبـدو لصالح العرب وليس الاشوريين ٠

(30) Pritchard, op. cit. p. 291-2.

(31) ibid, p. 292.

ان هذه الحملة كانت موجهة ضد مصر والطريق البري الوحيـد الذي يوصل الجيش الاشوري الى هناك هو طريق صحراء سيناء ، لذلك اصبح أمر الماء ونقله على ظهور الجمال مسألة جوهرية للجيش الاشوري ، وربما ساهم العرب من سكان المنطقة بهذا العمل ، لاننا نعرف حادثة مماثلة وهي عندما حاول قمبيز الملك الفارسي فتـــح مصر ، فانه لاجل عبور صحراء سيناء ولاجل توفير الماء اللازم ، أبرم الملك الفارسي اتفاقا أو عهدا مع العرب الساكنين في صحراء ســيناء ليضمنوا سلامة مرور الجيش في هذه الصحراء بتوفير الماء وربمـــا الحماية ٠ أنظر :